الهوية الوطنية السعودية ومكافحة الأفكار المتطرفة

دكتور سلطان الحارثي

جامعة نايف العربية للعلوم الامنية

الملخص :

ناقشت هذه الورقة البحثية فكرة الوطن والمواطنة والهوية الوطنية الجامعة بين كل المواطنين بمختلف أعراقهم وهوياتهم الفرعية، من وجهة نظر إسلامية تأصيلا، ومن الزاوية السياسية في بناء الدولة الحديثة، وتوصلت إلى أن فكرة الوطن والمواطنة لا تتعارض أبدا مع الإسلام، مثبتة ذلك من خلال تعلق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المكيين بمكة المكرمة، يوم هاجروا عنها، وكذلك من خلال وثيقة المدينة التي أسست لدولة تجمع معتقدات مختلفة، وهويات متباينة، ولكنها جميعها تتفق على إلتزام هذه الوثيقة، بالدفاع عن دولة المدينة وحمايتها من كل عدوان خارجي، وتآمر داخلي، والانقياد لقايدة رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصفه حاكما فقط عند اليهود، ومشركي يثرب، والمنافقين، ونبيا ورسولا عند المؤمنين به من المهاجرين والأنصار.

ومن هذه الزاوية بينت فكرة المواطنة في مفهوم الاتجاهات اليسارية، القومية منها والماركسية، وتطرقت إلى بيان أهمية وضرورة الهوية الوطنية الجامعة في المملكة العربية السعودية، مبينة معززاتها ومهدداتها، والأسس التي تقوم عليها، مسترشدة في ذلك بمقولات المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود، ونصوص نظام الحكم الأساسي.

وأبرزت في ذلك أهم السياسات والمواقف التي أنتهجتها قيادة المملكة العربية السعودية في موقفها الحازم من كل تآمر يستهدف وحدة الوطن وهويته الوطنية الجامعة، وتوصلت إلى نتائج وتوصيات تراها مهمة، أثبتتها في محلها من االورقة البحثية.

Abstract :

This paper discusses the idea of citizenship from the Islamic perspective, and arrives at the conclusion that it is in full harmony with its nature. Therefore, as result of this, it deals with the analysis of the issues revolving around the unification of national identity within the Kingdom of Saudi Arabia. Thus, this includes the sub-identities in the kingdom, and that King Abdulaziz is a national symbol. Therefore, the firm grip on Saudi Arabia unity is the source of inspiration for developing this identity, and protecting it from innovation.

The research confirms the priority of national identity in building the Saudi personality, and warns against retreating to sub-identities, with the intention of giving priority to the collective national identity over the innovators. As any attempt of this kind is seen as a serious setback and is in favor of hostility towards the nation. These actions can be interpreted as high treason, and is traditionally linked to threats towards national security.

This paper talks on the preservation of the Saudi national identity and its threats between 'the battle' of ideas and national identity.

المقدمة :

فطر الانسان وجبل على أن يعيش ضمن مجموعة من جنسه، يتفاعل معها وتتفاعل معه، ومن هنا قيل الانسان اجتماعي بطبعه، ومع ذلك هو أيضا أناني يقدم ذاته على ذوات الآخرين، وغالبا ما يفكر ليكون هو الأعلى، ودونه الأدنى، ومن هنا احتاج إلى

ضابط يضبط أنانيته هذه، ويفسر له معنى كونه إنسانا اجتماعيا، حتى لا ينفلت، فيعود على ذاته والآخرين بالضرر، وهذا ما لا يمكن أن يكون إلا وفق عقد اجتماعي، تتأسس عليه العهود والمعاهدات؛ ليلتزم الانسياق لها، والوفاء بها، وهو ما عرفه الانسان منذ وقت مبكر من وجوده وتكاثره على هذه الأرض، وظل يتطور ويرتقي، كلما اجتاز حلقة اجتماعية إلى أخرى، يشعر بقوة الانتماء إليها، ويفخر بالولاء لها، يقاتل في سبيل حمايتها، ويعمل ضمن أعرافها، إلى أن وصل به الأمر إلى ما هو عليه الآن، حالة الوطن والمواطنة، حيث مختلف الهويات القبلية، والعرقية، والجهوية، والدينية، تشكل هذا الوطن، في إطار قطري محدد، تجمع بين قاطنيه مصالح مشتركة، للعيش معا بسلام، وفق قيم يتسالمون عليها.

ومن ثَمَّ، فإن أهم ما في هذا الوطن هو وحدته الوطنية، بها يتقوى وتتعزز مكانته بين محيطه العالمي، متى ما كانت هذه الوحدة الوطنية متينة في ذاتها وقوية، غير ضعيفة ولا منهكة بنزاعات داخلية، وعصبيات جانبية، على أساس من الهويات الفرعية، ومن هنا لا عجب أن نرى في دول العالم كافة الاهتمام بهذه القضية المركزية والمحورية، وحمايتها من أي محاولات اختراق تستهدفها من جهة ما، معادية، وذلك ببناء هوية وطنية جامعة، تتكامل فيها كل الهويات الفرعية، ولا تتناسخ، وسن قوانين رادعة تحميها، وعقوبات زاجرة في حق كل من يعمل في إضعافها أو هدمها، واعتماد سياسات راشدة في التوعية والتربية بأهميتها في النهضة الوطنية.

وما المملكة العربية السعودية بما اختصها الله به من أهمية في الموقع الجغرافي، والتوافق السكاني، والمكانة الدينية، حيث مهبط الوحي، ووجود الحرمين الشريفين، والثقل الاقتصادي، إلا واحدة من هذا العالم الحديث، الملتزم في علاقاته الدولية بمعاهدات دولية وإقليمية، تعترف بالدولة الحديثة، وحقها السيادي، وحقوق المواطنة فيها، وإنها منذ عهدها الأول حتى إعادة سيادتها الشاملة على كامل أرضها التاريخية، في عهدها الثالث، موحدة بعزيمة ومجاهدة المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، تُولي مسألة الوطن والمواطنة أهمية فائقة، وعناية كبرى، وتسمو

بها فوق الفوارق القبلية، والجهوية، والمذهبية؛ لتربط بين أبنائها برباط العقيدة الاسلامية، ووحدة اللغة، والمصلحة، مواطنين صالحين، لهم وعليهم حقوق وواجبات، مصدرها الشريعة الاسلامية، وهو ما تستهدي به اليوم وتسترشد في رؤيتها التطويرية ٢٠٣٠م، لمسألة الوطن والمواطنة، في عهد الملك سلمان بن عبد العزيز، وولي عهده القيادي الطموح الأمير محمد بن سلمان بن عبد العزيز.

مشكلة البحث :

وليست عملية تعزيز الهوية الوطنية الجامعة بتلك السهولة، ففي طريقها الكثير من المشكلات المتنوعة التي تعترض طريقها، وشأن المملكة في هذا شأن كل الدول التي تعاصرها، وتسابقها النهضة الحضارية، ولا سيما في العالم الثالث، حيث التخلف الاجتماعي، وعصبية الانتماءات الضيقة، والمنحازة، والنزاعات الطائفية، بما تمثله من تهديد خطير للوحدة الوطنية، وهويتها الجامعة، وبالذات عندما يكون هذا الوطن مستهدفا من خصوم وأعداء استراتجيين، وعقائديين في الوقت نفسه، يجاورونه جغرافيا، ويفاصلونه حضاريا، وثقافيا، تحركهم مشاريع توسعية، يضمرون له نوايا سيئة، وهو ما يعني وجود مشكلة حقيقية، غير متوهمة، تستدعي الدراسة العميقة، والبحث الدقيق، من كل الجوانب، من أجل الوقوف على تفاصيلها، والوصول إلى ما يعزز الهوية الوطنية الجامعة، في المملكة العربية السعودية، لمواجهتها والتصدي لها، وهي مشكلة الانتماءات الجانبية، وتلك الأفكار المغالية، من تنظيمات التطرف الديني، فيما تراه من أن الوطن والمواطنة مفهوم جاهلي، يتنافي وعقيدتنا الاسلامية، وعلى أساس من هذا التصور الخاطئ تستقطب شبابنا؛ لتتخذ منهم معول هدم بارتكاب أعمال إرهابية، تضر بالوطن والمواطنين، وذلك بالإجابة على السؤال الرئيس التالي: **ما المطالب الأساسية لتعزيز الهوية الوطنية الجامعة في المملكة العربية السعودية ومكافحة الأفكار المتطرفة؟**.

الأسئلة الفرعية

وتتطلب الإجابة على هذا السؤال الرئيس، الإجابة على أسئلة فرعية، تنبثق عنه، على النحو التالي:

ما موقف الاسلام من الوطن والمواطنة ؟

ما مفهوم الهوية الوطنية الجامعة؟

ماذا يعني الوطن والمواطنة في فكر المؤسس الملك عبد العزيز؟

ما أسس الهوية الوطنية السعودية؟

ما مهددات الهوية الوطنية السعودية؟

ما معززات الهوية الوطنية السعودية؟

ما علاقة الهوية الوطنية بمكافحة التطرف؟.

أهمية البحث :

وعلى ضوء هذه التساؤلات ومن خلال ما ذكر في بيان المشكلة محل التناول، ربما اتضحت لنا أهميتة البحث كما يلي:

أولا: الأهمية العلمية :

وتكمن هذه الأهمية في أنه يسلط الضوء على موضوع ما زال في حاجة إلى مزيد من الطرق والبحث في جوانبه المختلفة، وقد ركز البحث على جانب الهوية الوطنية الجامعة، من خلال جمع المادة العلمية الموثقة، ثم تحليلها، بالمقارنة بينها، ونقدها، من أجل الخروج بنتائج وتوصيات، تخدم هدف البحث ومقصده.

ثانيا: الأهمية العملية :

وأما من الناحية العملية، فإن البحث سيسهم بما يتوصل إليه من نتائج وتوصيات، في تزويد صانع القرار بما يساعده في اتخاذ القرار المناسب، كما يلفت نظر الجهة المشرعة إلى ما يراه مهما في مكافحة الأفكار المتطرفة، وحماية الوحدة الوطنية، من الناحية القانونية، والجهة الأمنية إلى خطورة المفاهيم والممارسات

المهددة لوحدة الوطن، كذلك الجهة التربوية، والإعلامية إلى ضرورة بناء ثقافة وتربية وطنية، تحول دون النشئ والأفكار المتطرفة، وتعزز فيهم معاني الاعتزاز بالهوية الوطنية الجامعة، بدل الهويات الفرعية والجانبية.

المنهج البحثي :

وجرى اعتماد المنهج الوصفي، بما يشتمل عليه من استقراء وتحليل، ووصف كيفي أو كمي، وهو منهج يناسب الأبحاث التي تتناول المشكلات الاجتماعية والانسانية، ومعه المنهج التاريخي وهو " منهج يدرس الظاهرة القديمة، ويسجل تطوراتها، ويحلل ويفسر هذه التطورات".

وهذا من منطلق أن العلاقة بين الماضي والحاضر علاقة سببية، بمعنى أن فهم الحاضر، والتنبؤ بالمستقبل، لا يتسنى من غير قراءة الماضي ووصله بالحاضر؛ لوجود هذه العلاقة السببية بينهما.

وقد استخدمه ابن خلدون، وعدد من علماء الاجتماع الغربيين، مثل **جيوفاني فيكو، وسان سيمون**؛ وذلك لأن معادلات الحاضر الاجتماعية والثقافية بمفهومها العام مكونة من عناصر تنتمي إلى الماضي؛ ولهذا يؤكد علماء الاجتماع على إخضاع ماضي الظاهرة لقراءة منهجية؛ لكي يتسنى لهم فهم حاضرها.

مفاهيم ومصطلحات البحث :

ويشتمل البحث على مصطلحات أساسية، يجري بيانها كما يلي:

الأفكار: الأفكار جمع فكر، وكما جاء في لسان العرب هو إعمال الخاطر في شيئ. وفي الصحاح التَّفَكُّر التأمل، والمصدر الفَكْرُ بالفتح. وفي القاموس المحيط الفِكْرُ بالكسر ويفتح، إعمال النظر في الشيء.

وعرفه مجمع اللغة العربية، بأنه من " فكر في الأمر فكرا إذا أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم؛ ليصل إلى مجهول. أفكر في الأمر: فكر فيه، فهو مفكر، وفكَّر في الأمر هو مبالغة في فكر، وهو أشيع في الاستعمال من فكر ... ".

واصطلاحا هو " أسمى صور العمل الذهني، بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق، ويطلق الفكر بوجه عام على جملة من النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة ".

وعرفه آخرون بأنه " إعمال العقل وبحثه وتدقيقه وتحقيقه؛ ليصل إلى المعرفة بالشيء أو الموضوع، محل البحث والنظر. والقول بالتفكير في الشيء يعني تكرار المضمون الخاص به وتأمله على نحو من التذكر والشك واليقين والنفي والإرادة، والرفض والقبول، والتخيل والمحاسبة، والتحقق بفاعلية من خلال اللغة ".

التطرف :

مصطلح التطرف في لسان العرب: والطَّرَفُ مصدر قولك طَرِفَتِ الناقة بالكسر إذا تطرفت أي رعت أطراف المرعى، ولم تختلط بالنوق. وناقة طرفة أي لا تثبت على مرعى واحد. والطرف بالتحريك الناحية من النواحي، والطائفة من الشيء، والجمع أطراف.

والخلاصة أن طرف الشيء هو ما نأى عن الوسط، وأدى إلى الانعزال والانفصال عن المسار الجامع، كالناقة ترعى متفردة، لا تختلط بالنوق، ولا تثبت على مرعى واحد، وهو ما ينطبق على الفكر المتطرف، ينعزل بصاحبه؛ ليفكر بعيدا عن مجتمعه، ولا يثبت في تطرفه هذا على حالة واحدة، غالبا ما ينتقل من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وفي كلا الأمرين لا يتحرى الوسطية والاعتدال، والاجتماع مع الجماعة، وهو ما يعنيه البحث من استخدامه لهذا المصطلح.

مكافحة :

المكافحة في اللغة تعني ضمن ما تعني ـ كما جاء في لسان العرب ـ المضاربة والمدافعة تلقاء الوجه. والمراد به هنا مواجهة التطرف والتصدي له قانونيا وفكريا بقصد الحد من غُلوائه ونفوذه.

والمكافحة أعم من الوقاية، إذ الوقاية تعني " اتخاذ التدابير الاحترازية الضرورية التي تحول دون ارتكاب الجريمة تجنبا للعقوبة المقررة عليها ".

أما المكافحة اصطلاحا فتجمع بين السياسة الجنائية، والوقاية، والسياسة الجنائية تتضمن: التجريم، والعقوبة، والمنع.

الهوية :

الهُوِيَّةُ في مدلولها اللغوي مشتقة من (هُوَ) وهذا المصطلح ـ كما يقول صليبا ـ : " ليس عربيا في أصله وإنما إضطر إليه بعض المترجمين فاشْتَقَّ هذا الاسم من حرف الرباط ... وهو حرف (هُوَ) في قولهم: زيد هو حيوان أو إنسان ".

فإذن هناك الضمير (هُوَ) وياء النسبة إليه؛ ليتولد مصطلح (هُوَيَّةٌ) " واستعمل أول ما استعمل بمعنى الوجود، فقيل: هو زيد، وأريد به وجود زيد، وضده في هذا الاستعمال هو (الماهية) وهو المشتق من صيغة السؤال: ما هو ؟ والمقصود بماهية الشيء ما به يكون الشيء هو هو".

وعرف علماء الاجتماع الهُوِيَّةَ على أنها " مجموع التصنيفات الانتمائية التي يرى بواسطتها الإنسان نفسه ومحيطه ".

وعلاقة الهوية بالوطن تتحدد في أنها " المرجعية التي تتأسس عليها القاعدة الدستورية، وليس العكس، فالوطن على حد تعبير الأستاذ جعفر شيخ إدريس ليس، هو الذي يحدد نوع الهوية التي إليها ينتسبون؛ لأن الوطن الواحد تتعاقب علية نظم مختلفة بل وأحيانا متناقضة ".

الوطن :

يعطي الفعل (وَطَنَ) معنى السكن والاستقرار، وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس: الواو والطاء والنون كلمة صحيحة، فالوطن هو محل الفرد، وأوطان الغنم هي مرابضها، وأَوْطَنْتُ الأرض أي اتخذتها وطنا.

وعرف شعبان الوطن بأنه " المُتَّحِدُ الجغرافي الذي تعيش فيه مجموعات بشرية وقومية ودينية وسلالية ولغوية متنوعة ومختلفة. أي أن هناك شعبا يسكن في أرض (الإقليم) ولديه سلطة أي حكومة، ويتمتع بالسيادة، أي بحق حكم نفسه بنفسه، وهذا المفهوم أقرب إلى فكرة الدولة العصرية ".

ومرت فكرة المواطنة في تطورها التاريخي بمراحل مختلفة من عهد دولة مدينة (أثينا) و (أسبرطة) اليونانيتين، مرورا بالعهد الروماني، إلى الدولة الحديثة، بعد اتفاقية وستفاليا عام ١٦٤٨م.

المواطنة :

وأما المواطنة فهي لغة " مصدرٌ لفعل رباعي مزيد، على وزن فاعل، وهو واطن، وكل رباعي على هذا الوزن يكون مصدره مفاعلة، مثل جالس مجالسة، وقاتل مقاتلة، والمواطنة هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق، ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى وطنه ".

وتعني اصطلاحا " صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتماؤه إلى الوطن، وأهمها واجب الخدمة العسكرية، وواجب المشاركة المالية، في موازنة الدولة ".

وقد " حدد (ت – هـ مارشال) في المحاضرات التي ألقاها عام ١٩٤٩م، ثلاثة أشكال من المواطنية، وهي: **المدنية** (المساواة أمام القانون) و**السياسية** (التصويت على سبيل المثال) و**الاجتماعية** (نموذجها دولة الخدمات الاجتماعية) التي ـ بحسب الحجج التي ساقها ـ تطورت تاريخيا بهذا التسلسل ".

الدراسات السابقة :

وفي حدود ما جرى الاطلاع عليه، ليس ثمة دراسات وأبحاث تعنى بالهوية الوطنية الجامعة، وعلاقتها بمكافحة الأفكار المتطرفة، في المملكة العربية السعودية، ولكن هناك

أبحاث تناولت مسألة الوطن والمواطنة، من الناحية التربوية، وقليل منها تناولها من الناحية الأمنية، ويمكن استعراض جزء منها بالاعتماد على ما نشر في (الكتاب العلمي لمؤتمر الشباب والمواطنة قيم وأصول) جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المنعقد في الفترة ١٥ – ١٤٣٦/٤/١٦هـ، وجزء آخر من غير هذا المصدر، على النحو التالي:

الأشقر، سامي بن رفعت، ترسيخ فكرة المواطنة الصالحة في ظل تبادل الحقوق بين الراعي والرعية

وهو أحد أبحاث المؤتمر المذكور، تناول فيه الباحث فكرة ترسيخ المواطنة الصالحة من خلال العلاقة الحقوقية بين الراعي والرعية، ولأن الباحث أستاذ في التفسير وعلوم القرآن الكريم، بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة الملك فيصل، بالسعودية، تناول قضيته من الزاوية الاسلامية، وخرج بنتائج من أهمها:

١. الحقوق المتبادلة بين الراعي والرعية حددها الاسلام
٢. أن مراعاة هذه الحقوق من الراعي والرعية من أهم ضمانات تحقيق مفهوم المواطنة.

الحربي، محفوظ بن عبيد رهيدل، المواطنة ودورها في تعزيز الأمن الوطني، دراسة تطبيقية على طلاب الدراسات العليا في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، دراسة مقدمة لنيل دكدتوراه الفلسفة في الدراسات الأمنية، قسم الدراسات الأمنية، كلية العدالة الجنائية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، عام ٢٠٢٠م.

وخرج الباحث بنتائج منها:

١. حماية وحدة الدولة واستقلالها وسيادتها على أراضيها ينال درجة عالية جدا عند عينة الدراسة
٢. تحقيق أمن المجتمع واستقراره في ظل التحديات الخارجية والإبلاغ الفوري عن أي مهددات أمنية مسؤولية اجتماعية
٣. الإدراك الصحيح لمعاني المواطنة يحصن الفرد من الفكر المنحرف
٤. تعزيز قيم التسامح بواسطة الوسائل الإعلامية وتشجيع المظاهر الدالة على المواطنة.

الحربي، بندر بن بدر صلبي، أسس الدولة المدنية في صحيفة المدينة، دراسة تأصيلية مقارنة، مقدمة لنيل الماجستير، من كلية العدالة الجنائية، قسم الشريعة والقانون، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، عام ٢٠١٥م، وخرج الباحث بنتائج منها ما يلي:

١. تعد وثيقة المدينة أهم وثيقة سياسية وقانونية تؤسس لمجتمع متعايش
٢. وثيقة المدينة لها أهمية كبرى في دراسة الفكر السياسي الحديث
٣. اشتملت صحيفة المدينة على مرتكزات الدولة الحديثة

الدوسري، عبد الرحمن بن حسن النصار، التعصب الطائفي وآثاره الأمنية، دراسة تأصيلية، مقدمة لنيل الماجستير، من كلية الدراسات العليا، قسم العدالة الجنائية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، عام ٢٠١٣م، وخرج الباحث بما يلي:

١. خطورة التعصب الطائفي على الأمن الوطني
٢. استغلال الجهات المعادية لهذا التعصب من إجل إثارة الفتن

كسناوي، محمود محمد عبد الله، المسؤولية الوطنية المتبادلة بين المواطن والدولة مع تصور مقترح في ضوء الانتماء وتحديات العصر.

والباحث متخصص في التربية الاسلامية، وهو أستاذ في كلية التربية، جامعة أم القرى، وخرج بالنتائج التالية:

١. إن العالم الاسلامي يعيش حاليا تحديات ثقافية وفكرية وإعلامية، ذات آثار سلبية على عقول الأفراد
٢. هناك حقوقا للمواطنين يتوجب على الدولة تحقيقها، وإن تأكيد عينة الدراسة على أهميتها يدل على أنها بحاجة إلى مزيد من الاهتمام.

ما يتميز به هذا البحث :

ولقد استفاد البحث من هذه الأبحاث العلمية، ويلتقي معها في التأصيل لمفهوم المواطنة، وبيان مردودها الإيجابي من الناحية الأمنية، إلا أنه يتميز عنها بمناقشته

لمسألة الهوية الوطنية الجامعة، من حيث مفهومها، وتعارضها مع الهويات الفرعية، وأهميتها في تعزيز الوحدة الوطنية، ومكافحة الافكار المتطرفة.

الوطن والمواطنة في الفكر الاسلامي

تأصل معنى الوطن والمواطنة في الفكر الاسلامي، أول ما تأصل، من خلال صحيفة المدينة، ومع أن الصحيفة لم تنص على هذا المصطلح بلفظه المتداول حاليا، إلا أن مضمونها هو عين الحقوق والواجبات التي يعنيها مصطلح المواطنة.

وإذا كان ارتباط الانسان بموطنه ـ المكان الذي نشأ فيه واستقر ـ وحنينه إليه، والدفاع عنه وحمايته، أمر فطري، فليس غريبا أن نجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يبدي حزنه وتضايقه بقوله: أو مخرجي هم؟ يوم أخذته زوجه خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ـ إلى ورقة بن نوفل، عقب نزول الوحي عليه، وهو يتحنث في غار حراء بمكة المكرمة، وأخبره يومها ورقة بن نوفل بحدوث ذلك.

وأن يخاطب مكة يوم حدث هذا فعلا وهو يغادرها مهاجرا بقوله: والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إليَّ، لولا أني أخرجت منك ما خرجت.

ولاغرابة أيضا أن يحن المَكِّيُونَ من الصحابة إلى مكة، وقد استوطنوا المدينة، وأن يلعن بلال صناديد قريش الذين أخرجوهم منها، ويقول: اللهم العن عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأمية بن خلف، كما أخرجونا إلى أرض الوباء.

وأن يدعو الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بقوله: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها، وانقل حماها، فاجعلها في جحفة.

وفي الدعوة بالمباركة في الصاع والمد، اهتمام بالحالة الاقتصادية، ومشاريع التنمية المستدامة، وفي الدعاء بنقل الحمى بعيدا عنها اهتمام بالعامل الصحي، ومكافحة الأوبئة، وبين المباركة في الصاع، والصحة في البيئة والبدن، إرتباط وثيق، إذ لا يمكن تصور ازدهار اقتصادي، وتطور اجتماعي، ومواطن سوي، من غير صحة

الأنفس والبيئة، وهو من أهم إهتمامات الدولة الوطنية الحديثة، في إسعاد مواطنيها، وضمان استقرارهم الأمني والسياسي.

ولا غرابة أيضا أن تتحول هذه المشاعر العاطفية، إلى وثيقة دستورية، في بنود مفصلة، على شكل إجماع وطني مكتوب، بموجبه تتحمل الجماعة الوطنية مسؤوليتها تجاه الوطن، حماية من أن يستهدف، ودفاعا إذا ما تعرض لعدوان خارجي، وحفظا لحقوق قاطنية، من دون التفريق بينهم، على أساس ديني، أو عرقي، أو قبلي، أو جهوي، حيث كان مجتمع المدينة يضم اليهود، والمسلمين، والوثنيين، من حيث التنوع الديني، ومن اليهود والعرب، من حيث التنوع العرقي، ومن قريش المهاجرة، والأنصار المستقبلين، الأوس والخزرج، من حيث التنوع القبلي، وجميع هذه الهويات المتنوعة والمتعددة، جمعتها صحيفة المدينة، على هوية جامعة، عمادها الولاء لدولة المدينة، وقيادتها، الممثلة في رسول الله، ونظامها السياسي، الممثل في الاسلام، مع كامل الحرية الدينية، لمن ليس مسلما أن يبقى على دينه، ولا يكره على غيره، وقد نصت الصحيفة على نصوص دستورية في غاية الأهمية بالنسبة لدولة المواطنة الحديثة، نقتبس منها ما يلي:

١. إنهم أمة واحدة من دون الناس
٢. إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين
٣. إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين
٤. لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتع [ ] إلانفسه وأهل بيته.
٥. إن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم.
٦. وإنه لا تُجَارُ قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب ".

الإسلام السياسي والموقف من الوطن والمواطنة

ويدور جدل اليوم بشأن الوطن والمواطنة، بين حركات الاسلام السياسي، ماذا يعني هذا المصطلح؟ هل يعني شرعية الدولة الحديثة أم أنه ينصرف إلى دولة الأمة؟.

وقد ذهب المتطرفون من هذه الحركات إلى عدم شرعية الدولة الحديثة، وأعلنوا عليها الجهاد؛ ليبنوا على أنقاضها دولة الخلافة الاسلامية، تماما كما فعل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، المعروف بداعش، بينما يذهب آخرون إلى نقد هذا المنحى في التفكير الاسلامي، وقرر شرعية الدولة الحديثة، وهذا الفريق يصنف الأمة إلى ما أسماه الأمة السياسية، والأمة الدينية؛ ليمنح الدولة الحديثة، بحدودها المرسومة شرعية الوجود والبقاء، والفرق بينهما في نظره أن " أمة الدين تجمع بين أفرادها رابطة الإخوة العقدية والإيمانية، وأمة السياسة تتكون من أشخاص يجمعهم وطن سياسي واحد، ولو كانوا ذوي عقائد وانتماءات مختلفة ".

وعلى هذا التمييز ينتقد " اعتبار الخلافة ضرورة دينية، ونموذجا لحكم إسلامي" وفي تفسيره لمعنى مصطلح (دولة إسلامية) يقول: " يعني دولة مقبولة إسلاميا، وهو المعنى الذي أعطاه العلماء لمصطلح السياسة الشرعية، أي السياسة المقبولة شرعا، وليس المنصوص عليها ".

وتنص الدساتير في العالم العربي على أبعاد المواطنة في مفهومها، وتلتقي معها تلك النظرة المعترفة بشرعية دولة المواطنة الحديثة، في أطروحات الاسلام السياسي " ومن يقرأ الدستور المصري الصادر في ٢٠١٣م، يجد في الباب الأول بعنوان (الدولة) في المادة الأولى منه، ما نصه: جمهورية مصر العربية دولة نظامها ديمقراطي، يقوم على أساس المواطنة، والشعب المصري جزء من الأمة العربية، يعمل على تكاملها ووحدتها، ومصر جزء من العالم الاسلامي، وتنتمي إلى القارة الأفريقية، وتعتز بامتدادها الآسيوي، وتسهم في بناء الحضارة الانسانية".

ويعقب الباحث عيد على هذا النص بقوله: " والذي يعنينا التركيز عليه مما سبق، عبارة: أن الشعب المصري جزء من الأمة العربية، يعمل على تكاملها، ووحدتها، وجزء من العالم الإسلامي، فالذي يفهم من هذه العبارة، أن الشعب حدود وطنه العام ليس هو المكان الذي يعيش فيه، فهو وطن خاص، ولكن الدستور أشار إلى أن الوطن العام له مفهومه في القانون الوضعي، بدليل أنه نص على أن الشعب المصري جزء من الأمة العربية، وجزء من العالم الاسلامي، وهو مطالب بأن يعمل على تحقيق وحدتها وتكاملها، بأي صور من الصور، وهذا معناه: الإحساس والشعور العام بالواجب تجاه كل الدول العربية والإسلامية، بحكم إسلامية وعربية هذا الشعب الأصيل".

ونجد النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية، ينص على أنها " دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الاسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولغتها هي اللغة العربية، وعاصمتها مدينة الرياض "

وهذا معناه أن المواطنة والوطن في مفهومها لا يعني انغلاقا وانطواء على الذات، وإنما تكاملا مع العالم العربي والإسلامي، وهو ما لمسناه يتجسد في السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية، وفي نهجها التربوي، والإعلامي، في سياستها الداخلية.

المواطنة في الفكر القومي والماركسي :

وعلى نقيض الفكر الاسلامي، تتأسس المواطنة في الفكر القومي على أساس الولاء العرقي، من خلال التشبع بأيدلوجيا قومية، لا علاقة لها بالدين، وفي الفكر الماركسي على الولاء الطبقي الأممي، ويتضح لنا هذا من خلال الآتي:

المواطنة والقومية العربية :

وحركة القوميين العرب، هي من نظر لفكرة القومية العربية، وأعضاؤها ـ كما يقول أحدهم ـ : " كانوا في الغالب من النصارى، ولم يمثلوا سواد الشعب ... لقد غرس هؤلاء بذرة القومية والوطنية، وبعثوا حركة مستوحاة من تاريخ العرب ومآثرهم، تستهدف مُثُلا قومية بدلا من المُثُل الدينية والطائفية ".

وبدأت أول ما بدأت " في بلاد الشام سنة ١٨٤٧م، بإنشاء جمعية أدبية قليلة الأعضاء، في بيروت، في ظل رعاية أمريكية ".

وبداهة، الوطنية بهذا المفهوم القومي، تتعارض مع مفهوم الوطنية، في المملكة العربية السعودية، حيث قاعدتها الاسلام، وفقا لما نص عليه نظام الحكم الأساسي، وليس في هذا أي تعارض أبدا مع انتمائها العربي الذي أكده أيضا نظام حكمها الأساسي.

وربط هؤلاء القوميون العرب فلسفتهم القومية بالفكر الماركسي، في الجانب الاقتصادي، والتحالف السياسي، وعلى هذا قام النظام الناصري في مصر عام ١٩٥٢م، بقيادة جمال عبد الناصر، وكان حليف الاتحاد السوفيتي في المنطقة، ومروج الاشتراكية فيها، وتدخل في حرب اليمن عام ١٩٦٢م، مهددا أمن المملكة العربية السعودية، وكذلك النظام البعثيى في كل من العراق، بقيادة صدام حسين، وسوريا، بقيادة حافظ الأسد.

ومن منطلق الشعارات القومية، كان أيضا غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠م، وقد وقفت المملكة العربية السعودية من هذا الغزو موقفا صارما في الرفض والمواجهة، وتصدت له من دون مواربة، وحشدت الرأي العام الدولي، والعربي، والوطني، والإسلامي؛ لمواجهته، وإبطاله؛ وإنما فعلت ذلك لكونه يهدد وحدتها الوطنية، ومستقبل الأمن الوطني لدول الخليج بصفة عامة، وتماسكها الداخلي.

المواطنة والماركسية :

وقَلَّ من لا يعرف أن الماركسية هي فلسفة في الحكم والاجتماع، تعود في نشأتها إلى الفيلسوف الألماني اليهودي، كارل ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣ م) وقد اكتسب صاحبها شهرته من نظريته في تعارض الرأسمالية مع أجور العمال.

واعتنقتها الثورة الروسية التي قادها لينين عام ١٩١٧م، وحكمت المعسكر الاشتراكي قرابة سبعين عاما، وانهارت بانهيار الاتحاد السوفيني، عقب ظهور ميخائيل

جورباتشوف عام ١٩٩١م، بنظرية البيروسترويكا، وتعني إعادة البناء، أو إعادة الهيكلة، والجلاسنوست، وتعني سياسة الانفتاح والشفافية.

وتتأسس قضية المواطنة في تنظيرات هذه الفلسفة، على الولاء الطبقي، والإيمان بالملكية الجماعية، ومعاداة العقائد الدينية، ومناهضة البرجوازية.

ومن منطلق معاداتها للأديان، تهكم الماركسيون من الإيمان بالله، ورأوا فيه سذاجةً التفكير البدائي، وأسموه التفكير الميتافيزيقي، ووصفوه بأنه الذي " يعكس فكرة إلهية أزلية، النظام الاجتماعي هو ما يريده الله، وعلى ذلك فالملكية الخاصة لوسائل الانتاج شيء مقدس، وهؤلاء الذين ينازعون هذه الحقيقة المقدسة مدانوان باسم الأخلاق، فليتوبوا إلى الله، فالله هو حامي كبار ملاك الأرض، وهو ضامن المشروعات الرأسمالية الحرة".

وتصنف المواطنين وفق سياسة الانتماء الطبقي، وتكره الجميع على الخضوع لقوانينها، وأي تمرد عليها يعني تمردا على الوطن والمواطنة، ويكفي أن فريدريك إنجلز رفيق ماركس وسنده في التأسيس والبناء الفلسفي للنظرية، يقرر " أن من يمتنع عن الخضوع لقوانين الطبقة العاملة، سوف يجبر على ذلك، ومن لا يريد أن يكون من هذه الطبقة، وأن لا يعمل من أجل الدولة، فسوف يحرم من كل خدماتها ".

وكل هذه الأفكار مثلت في فترة من فتراتها التاريخية، تهديدا كبيرا لمفهوم المواطنة السعودية، وتعارضت معها كل التعارض، وأوجدت بؤرا نشطة ضمن عمال أرامكو في الخبر، من خلال تنظيم تأسس عام ١٩٥٤م، باسم جبهة الاصلاح الوطني.

ويذكر العوامي " أن الأفكار والمذاهب السياسية الحديثة، كالشيوعية، والبعثية، كان أول ظهورها في المنطقة الشرقية، بين الشباب من موظفي أرامكو الذين كانوا يدرسون في المدارس التي أنشأتها أرامكو؛ لإيجاد طبقة عمالية متعلمة ... ".

وتلاشت حاليا مثل هذه التنظيمات، ولم تعد تملك تلك القدرة التي كانت تتمتع بها في فترة الحرب الباردة، من الناحية الفكرية والسياسية، إذ انهارت المنظومة الاشتراكية، وغاب الاتحاد السوفيتي عن الوجود.

الهوية الوطنية الجامعة والهويات الفرعية

تَعَاضُدُ الهويات الفرعية وتماسكها عند شعب ما، شرط أساس في بناء وطن قوي ومتماسك، وهو ما عبر عنه ابن خلدون في مقدمته بشوكة العصبية، ولا تكون العصبية فاعلة ومؤثرة من غير هوية جامعة.

ويشدد عدد من الباحثين على أن " الهوية في غاية الأهمية ومنها تنطلق المصالح، حيث الناس لا يمكنهم أن يفكروا أو يتصرفوا بعقل في متابعة مصالحهم الخاصة إلا إذا كانت هذه الهوية... ".

ويذهب بعضهم إلى أن الهوية هي أحد عناصر (الأمن) بحكم " أن الأمن في جوهره يتعلق بقضية الوجود، وللوجود ثلاثة وجوه أو معان: أولها البقاء على قيد الحياة والاستمرار فيها، والثاني هو الحفاظ على الهوية دون تغيير أو تشويه، والثالث هو التمكن من أداء الوظائف التي ترتبط بهذه الحياة بشكل حيوي ومتطور".

ومعنى هذا، أن صراع الهويات هو صراع وجود وبقاء، قبل أن يكون صراع تنافس وتسابق، والوجود في حد ذاته هو جوهر الأمن، بحيث يكون الأمن مهددا متى شعرت هوية ما، بخطر يتهدد وجودها.

والهويات " ليست أشياء نفكر فيها وإنما هي أشياء نفكر بها، والهويات في حد ذاتها ليس لها وجود فيما وراء سياساتنا وعلاقاتنا الاجتماعية وتواريخنا ".

والهويات في أصلها مهما بدت متباينة، فإنها ليست متناقضة ولا متناسخة، ولكنها مختلفة ومتمايزة، ويمكن التعايش بينها، إلا حين تطغى هوية منها على أخرى، إما بتدخل خارجي، أو بتنامي مشاعر طائفية أو قبلية.

وعرف علماء الاجتماع الهُوِيَّةَ على أنها " مجموع التصنيفات الانتمائية التي يرى بواسطتها الإنسان نفسه ومحيطه ".

وفي تصورهم لهذه التصنيفات قالوا: " تضم هذه التصنيفات: اللغة، والدين، والعرق، والجنس، والأدب، والموسيقى، والعادات، والتقاليد، والوطن، والتاريخ، والطبقة، والمهنة... الخ.

باختصار جميع الانتماءات الاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، وما إلى ذلك من التصنيفات التي لها تأثير لا شعوري غالبا على سلوكيات الإنسان وتصرفاته، تجاه الأفراد والمجتمع، وتجعل الناس يشعرون بأنهم يشتركون أو يختلفون مع أفراد آخرين من نوعنا البشري ".

وعدد بعضهم الهويات إلى " أسرية، وقبلية، وإقليمية، ومناطقية، وطبقية، ومهنية، ودينية، وإثنية " وهي ما تعرف بالهويات الفرعية، أو الهويات الجانبية، وتقابلها الهوية الوطنية الجامعة، تجمع كل هذه الهوية في بوتقة واحدة، على مصلحة مشتركة، تسمو فوقها، في نطاق وطن يجمعها كلها، ويمثلها، ويجد كل واحد منها ذاته مجسدة باحترام حقوقها، مقابل الوفاء بواجباتها.

مشكلات في فهم الهوية :

ومع هذا التعريف الواضح لمعنى الهُوِيَّةِ توجد بعض المشكلات في فهمها عند بعض الناس، حصرها بعض الباحثين فيما يلي:

أولا: تجاهل الهُوِيَّةِ وإنكار أي دور لها في تصرفات الناس واختياراتهم، وهذا الفهم تمثله النزعة الفردانية(Individualism).

ثانيا: النظرة الاختزالية التي تختصر الهُوِيَّةَ في مُكَوِّنٍ واحدٍ من مكوناتها المتعددة، كالدين مثلا، أو اللغة، أو العرق، أو الطبقة الاجتماعية، ومن ثم تقصي الجوانب الأخرى المتعددة من هُوِيَّةِ الانسان وتغيبها عن المعادلة.

وهذا تمثله بعض الاتجاهات الفكرية، كالاتجاهات الاسلامية التي تختصر الهُوِيَّةَ وتختزلها على الانتماء الاسلامي، والاتجاهات القومية، كالقوميين العرب الذين اختزلوا الهُوِيَّةَ العربية على الانتماء القومي، والاتجاهات الماركسية التي اختزلت الهُوِيَّةَ على الانتماء الطبقي.

وهذه الاتجاهات انتهت في كثير منها إلى الانهيارات الجارفة والعنيفة، حين تصاعدت مشاعر بقية مكونات الهوية التي كبتت بسلطان المتغلب، أو سكنت إلى آيدلوجيته ثم تفجرت من الداخل، حتى أدت إلى اقتتال داخلي، كما كان الأمر في يوغسلافيا بالنسبة لمن اختزل الهوية في مكونها الطبقي، وفي العراق لمن اختزلها في مكونها القومي، والسودان لمن اختزلها في مكونها الديني.

ثالثا: نفي حرية الاختيار الانساني في مجال الهُوِيَّةِ وادعاء أن الهُوِيَّةَ تملك وجودا مستقلا عن الانسان وحريته.

وهذا تصور يحمله من يرى أن الهوية جبرية لا يملك الانسان حرية الانفكاك عنها والتحول، بينما الهوية ليست كذلك، أنها ليست جامدة وثابتة، وإنما سايلة ومتحركة، وبإمكان الانسان أن يغير هويته متى شاء، وكيف شاء " ومن بين الأمثلة العديدة على حرية الانسان في اختيار الهوية التي يريدها أي للطريقة التي يعرف بها نفسه موقف عدد كبير من منظري القومية العربية في شمال أفريقيا من الناطقين بالأمازيغية، ومن بينهم المفكر المغربي (محمد عابد الجابري) الذي يعد أحد أهم منظري القومية العربية في شمال أفريقيا، رغم أن لغته الأم هي أمازيغية المغرب الشرقي، ولم يتعلم العربية ـ حسب شهادته ـ إلا بعد ولوجه المدرسة، لكن هذا لم يمنعه من أن يختار العروبة هوية، بل وأكثر من ذلك أن ينظر لها".

وفي نظر هنتنجتون للهوية نوعان ثقافية، وعرقية، والتغيير يحدث في الهوية الثقافية، لا الهوية العرقية " فإن الإنسان يمكنه أن يغير من ثقافته، والناس

يتحولون من ديانة إلى أخرى، ويتعلمون لغات جديدة، ويتبنون قيما ومعتقدات جديدة، وينتمون إلى رموز جديدة، ويتعايشون مع طرف جديدة في الحياة ... فالهوية الثقافية يمكن استبدالها، أما الهوية الاثنية للأجداد فهي ليست كذلك؛ ولهذا لابد من التمييز بوضوح بين الاثنين ".

تعريف الهوية الوطنية الجامعة :

وعند الحديث عن الهوية الوطنية الجامعة، في أي مجتمع كان، من المهم أن نسأل: ما هي المصلحة المشتركة التي تجمع مكون هذا المجتمع وتتسبب في تفتيته إذا ما فقدها؟ ما هي المعضلة الأساسية التي توقع بينه العداوة والبغضاء، والتباعد والتناحر في تشكيل هويته؟ المذهب والعقيدة، القبيلة والعشيرة، الجهة والبيئة، اللغة والثقافة؟.

وعرف بعضهم الهوية الوطنية الجامعة " على أنها شكل من أشكال الانتماء المواطني الذي يتجاوز الانتماءات الضيقة المحدودة النطاق، وهو انتماء يحتاج دائما إلى قوة تخيلية، أي يحتاج إلى أن يتجاوز الفرد بخياله انتماءه الضيق إلى الانتماء الأوسع للمواطنة، ويختلف المواطنون في هذه القدرة التخيلية، أي أنهم يختلفون في عمق انتمائهم الوطني، في ضوء متغيرات تتعلق بحياتهم ومدى انخراطهم في حياة الجماعة ".

وأقصد بمصطلح (الهوية الوطنية الجامعة) ذلك التصور الذي يجسد على أرض الواقع العملي الخصال الإيجابية والخصائص الحميدة للمجتمع، ويجعل منها ثقافة وطنية عامة، عمادها: **العدالة الشاملة، الحرية البَنَّاءَةُ، الكرامة الانسانية**.

ومعنى هذا " أن الهوية الوطنية ليست تنازلا متبادلا عن الهويات الخاصة كما يفترض بعضهم بل هي توافق، وتعاقد، وتواثق، على إنتاج هوية سياسية (وطنية) عامة، لا تتعارض مع أي من الهويات الخاصة ولا تنفيها".

الهوية الوطنية في رؤية الملك عبد العزيز

يحتفل السعوديون جميعا، حيثما كانوا باليوم الوطني من كل عام، وهي المناسبة الوطنية العزيزة في نفس كل مواطن سعودي؛ لكونها يوم إعلان وحدة أجزاء من الجزيرة العربية، في ١٩ سبتمبر عام ١٩٣٢م، باسم المملكة العربية السعودية، بقرار تاريخي من المؤسس الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، بعد أن كانت تعرف بمملكة نجد، والحجاز، وعسير، والإحساء وتوابعها.

وبهذا إذا كان لكل دولة وطنية رمزها الذي تفخر به، وتتمجد باسمه، محمد علي جناح في باكستان، غاندي، في الهند، الآباء المؤسسون في الولايات المتحدة الأمريكية، مانديلا في جنوب أفريقيا، فإن الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن، هو الأب المؤسس، والمجاهد العنيد الذي يتبوأ مكان هذه الرمزية السامية، في تعزيز الوحدة الوطنية، في المملكة العربية السعودية.

ومن ثم من الموضوعية العلمية أن لا تمر شخصيته في التاريخ السعودي وعند الحديث عن الهوية الوطنية الجامعة، دون أن نستمد منها ـ نحن السعودين ـ قيم وحدتنا الوطنية، ودون أن تكون أفكاره وتصوراته، مصدر إلهام الشخصية السعودية، في تعزيز الهوية الوطنية الجامعة.

ولعل هذا يتضح لنا من خلال الخصال والخصائص التي اتسم بها، وهو يقود مسيرة توحيد المملكة العربية السعودية، ويتطلب منا ـ نحن السعوديين ـ استحضارها، والوقوف عليها في تحقيق مزيد من التقدم في ترسيخ وحدتنا الوطنية، ومن أهمها ما يلي:.

الارتباط بالوطن :

ويذكر المؤرخون أن أقوى ما كان يجده الملك عبد العزيز في نفسه، ولا يملك صرفه، وهو بأرض الكويت مع والده الذي هاجر إليها إثر سقوط الدولة السعودية الثانية، تعلقه الوجداني بموطنه الأصلي، وتطلعه إلى العودة إليه، وتوحيده في دورة ثالثة من تاريخ نشأة الدولة السعودية، وكان كما يذكر عنه أرمسترنج " يتفاخر أمام أقرانه بأنه

الوارث لدولة الرياض ونجد، وأنه لابد في يوم من الأيام أن يطرد ابن الرشيد منها، ويعيد مجد الأجداد ".

وقد حدث الذي أراده، وعزم عليه، وتطلع إليه، حتى قال الباحث البريطاني ترويلر: " أن قصة فتح ابن سعود الرياض مثلت أسطورة التراث الشعبي السعودي، ويجب أن نذكر أن الجرأة التي أبداها ابن سعود في تلك المغامرة كانت محل إعجاب سكان المنطقة الوسطى من الجزيرة العربية ".

التفكير الاستراتيجي :

ومن ضروريات بناء الأوطان احترام الفكر، وتقدير المفكرين، والاستماع إلى آرائهم، وامتلاك استراتيجية واضحة المعالم، وهو ما فطنت له شخصية الملك عبد العزيز، إذ كان لديه مستشارون، ومفكرون، ذوي مشارب وآراء وخبرات متنوعة، وله خطة التحرك، يستطلع آراءهم، في دعم ومساندة استراتيجيته التوحيدية، ويوازن بينها، ثم يتخذ القرار المناسب، بما يرى فيه المصلحة الوطنية، فعندما قرر فتح الحجاز " عقد مؤتمر في الرياض حضره علماء الدين وزعماء الإخوان (أخوان من طاع الله) للمداولة في الأمر، وقد إنعقد المؤتمر في ٤ حزيران ١٩٢٤م برئاسة عبد الرحمن والد ابن سعود.

الواقعية والوسطية :

وكما كان وسطيا في فكره، يستنير بكل الآراء، وينفتح بعقلانية راشدة على ما يرى فيه خدمة استراتيجية البناء والتعمير، كان أيضا واقعيا في تعامله مع السياسة الدولية، يدرك تماما تعرجات ومنعطفات الأرض التي يسير عليها، ويعمل في توظيف تناقضات السياسة الدولية لصالح استراتيجيته، لا يعرض الوطن ووحدته لأخطار تحدق به، وتدبر له؛ للوقيعة بين أهله، على أساس مناطقي، أو قبلي، أو طائفي؛ ولهذا وقف بشدة في وجه الأفكار المتطرفة غير الواقعية التي طلبت منه تجاهل الواقع الدولي وتجاوزه، واستطاع القضاء عليها.

وكان خصومه السياسيون يعملون على هدم مشروعه التوحيدي بالتشويش عليه والتأليب بما اصطلحوا على تسميته (الوهابية) إلا أنه كان يرفض مثل هذه التشويهات والاتهامات، ويتعامل معها بفطنة وذكاء، ويؤكد أنه يبني وطنا للجميع، لا يفرق بين مواطنيه على أساس مذهبي أو جهوي، وفي كلمته التي ألقاها في المؤتمر الاسلامي، بتاريخ ٢٠ ذي القعدة ١٣٤٤هـ الموافق ٢ يوليو حزيران ١٩٢٦م، وجرى افتتاحه في ٧ حزيران، في مكة المكرمة، ردا على بعض التشويشات التي اثيرت بدوافع طائفية ومذهبية؛ للوصول إلى أهداف سياسية، شدد على أمور ثلاثة هي:.

١. أنه لا يريد علوا في الأرض ولا فسادا
٢. أنه لا يفرض مذهبا بعينه على المسلمين
٣. أنه لا يقبل بأي حال من الأحوال إشاعة البدع وإحداث إضطرابات أمنية

وانطلاقا من هذه الرؤية خاطب المؤتمرين قائلا: " لا أريد أن أتدخل في أعمال المؤتمر، ولا أقيد حرية المؤتمر، ولكن أريد أن ألفت نظركم إلى بعض الأمور بصفتي زعيما من زعماء الاسلام.

- ✓ إني لا أريد علوا في الأرض ولا فسادا
- ✓ ولكن أريد الرجوع بالمسلمين إلى عهدهم الأول، عهد الصحابة
- ✓ إننا لا نكره أحدا على اعتناق مذهب معين أو السير في طريق معين في الدين
- ✓ ولكني لا أقبل بحال من الأحوال التظاهر بالبدع والخرافات ...
- ✓ لا يُسْأَلُ أحدٌ عن مذهبه وعقيدته
- ✓ ولكن لا يصح أن يتظاهر أحد بما يخالف إجماع المسلمين أو يثير فتنة عمياء ".

وهذه النقاط المحددة تكشف لنا القيم الوطنية النبيلة في الحكم والإدارة، وفي الأصول الفكرية، التي تتأسس عليها الهوية الوطنية الجامعة، في المملكة العربية السعودية، وتضمنتها استراتيجية الملك عبد العزيز في الإصلاح الوطني.

تعميق الانتماء الوطني :

وعلى أساس من هذه القيم والأصول الفكرية للمواطنة السعودية، أولى الملك عبد العزيز مسألة الانتماء الوطني، مكان الانتماءات الفرعية، أهمية كبرى، إذ شغلت حيزا واسعا من اهتمامه وفكره في البناء الوطني؛ لينتقل بالفرد السعودي من حياة البداوة بما كانت عليه، من نهب، وسلب، وعصبية قبلية، وحروب داخلية، لأتفه الأسباب، إلى حالة من الاستقرار والانتماء إلى وطن يسع الجميع، يوحد بينهم، على أساس:

- ✓ **قيم العقيدة التي يؤمنون بها**
- ✓ **وأصالة العروبة التي ينتسبون إليها**
- ✓ **والعدل الذي ينشدونه**
- ✓ **والحاكم المصلح الذي يبايعونه (إني لا أريد علوا في الأرض ولا فسادا).**

وكانت فكرة إنشاء جيش يؤمن بهذ القيم ويتشربها، هي أول خطوة بدأها حين قرر " إنشاء قرى يهاجر إليها البدو ويستقرون فيها، وقد أطلق على تلك القرى اسم (الهجر) وكانت أول هجرة ظهرت للوجود عام ١٩١١م، في موضع يدعى الأرطاوية، يقع في منتصف الطريق بين الكويت والقصيم، وتلا ذلك ظهور هجر أخرى تدريجيا، حتى بلغ عددها بعد ثمانية عشر عاما ١٢٢ هجرة، وبلغ عدد رجالها ٧٦٥٠٠ رجلا".

الإرادة الصلبة والقرار الحاسم :

وكثيرا ما تتعرض استراتيجية الوحدة الوطنية لهزات داخلية، وأخرى خارجية، وأشد ما تكون حاجة في مثل هذه الحالة إلى إرادة حازمة، وقرار حاسم، تدرس الواقع بعمق وتأن، وتتصرف على ضوئه، إقداما وإحجاما، وهو ما نجده في سيرة ومسيرة الملك عبد العزيز، حين كان لا يتردد أبدا في اتخاذ القرار المناسب، في الوقت المناسب؛ لحسم القضايا الشائكة التي تقتضيها المصلحة الوطنية، حتى ولو تطلب هذا الحسم الخيار العسكري، وهو ما فعله في دخول الحجاز عند توحيد المملكة العربية السعودية، والوصول إلى الحديدة في اليمن، بقيادة الأمير فيصل بن عبد العزيز وقتها،

يبدأ بالمحاورة وإلا اضطر إلى المقاتلة، كما فعله أيضا مع قيادة الإخوان الذين خرجوا عليه، حاورهم، وسايسهم، وجادلهم بالمنطق الشرعي، عن طريق العلماء، وعقد ندوات النقاش، ولما لم يتراجعوا قاتلهم حتى حسمهم وهو بهم رئيف.

أسس الهوية الوطنية السعودية

ونستطيع أن نتبين أسس الهوية السعودية الجامعة، من اسمها الرسمي، المملكة العربية السعودية، وبالعودة أيضا إلى ما نص عليه النظام الأساسي للحكم، وتقوم على أسس ثلاثة، هي:

١. الملكية في النظام السياسي
٢. العروبة في الانتماء القومي
٣. الاسلام في المرجعية الدستورية.

وهو ما ينص عليه النظام الأساسي للحكم، الصادر بأمر ملكي رقم أ/٩٠ تاريخ ٨/٢٧/ ١٤١٢ هـ، في الباب الأول، المادة الأولى، بقوله: المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الاسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولغتها هي اللغة العربية، وعاصمتها الرياض.

وبقليل من التأمل في هذا النص، يتضح لنا أنه يعمق معاني التلاحم الوطني، نافيا الانتماءات المضرة بالوحدة الوطنية، على عكس الدستور الإيراني، في ظل حكم ولاية الفقية، حيث ينص على طائفية الدولة الإيرانية، بالنص على اعتماد مبدأ ولاية الفقيه وهي نظرية في المذهب الشيعي الإثني عشري، تستمد شرعيتها من الإمام الغائب، غير عابئ بمشاعر المواطنين الآخرين، وهو ما لا نجده في هذا النص، حيث أحال إلى المرجعية الاسلامية بصفة عامة، وهو ما أكده المؤسس في خطابه المذكور " **إننا لا نكره أحدا على اعتناق مذهب معين أو السير في طريق معين في الدين**" .

وفي هذه النقلة النوعية من حالة الانقسام القبلي، والانشطار الطائفي، والمذهبي، والتفكك السياسي، إلى حالة الدولة المستقرة لدلالة بينة على أهمية الوحدة الوطنية

وضرورتها، في فكر الملك عبد العزيز وذاكرته، وورثته من بعده، أبنائه الملوك، والمجتمع السعودي كله.

وحتى ندرك أهمية هذا التصور في بناء وتعزيز الهوية الوطنية السعودية، من المهم أن نشير إلى أن التركيبة السكانية للملكة العربية السعودية، توحدها العقيدة الاسلامية، من حيث الانتماء الديني، فجميع سكانها مسلمون، على المذهب السني، وأقلية من الشيعة الاثني عشرية، في المنطقة الشرقية، وبعض منها في منطقة المدينة المنورة، وأخرى شيعة إسماعيلية في منطقة نجران، وزيدية تتوزع في مناطق عدة من الجنوب.

ومن حيث الانتماء العرقي هم عرب ينتمون إلى أصول وقبائل عربية، استوطنت الجزيرة العربية، منذ آلاف السنين، وآخرون مهاجرون من أعراق غير عربية، إلا أنها اكتسبت الهوية العربية، يتوزعون جميعهم على ثلاث عشرة منطقة إدارية، " وتتكون كل منطقة إداريا من عدد من المحافظات فئة (أ) وفئة (ب) والمراكز فئة (أ) وفئة (ب) وفقا لما جاء في المرسوم الملكي الرقم أ/ ٢١ تاريخ ١٤١٤/٣/٣٠هـ".

وهذا المجتمع شهد بتركيبته هذه، نقلة حضارية كبيرة، وطفرة اقتصادية عظيمة، بسبب العائد النفطي، فتغير في علاقاته الاجتماعية، بانتقال جزء كبير منه إلى حياة الحضارة من البداوة، وليست هذه كتلك في الوعي الثقافي، ولا يعني التقدم العمراني تحولا في البنية الثقافية، وكما يقول الدبيان: " إن التطور المادي أسهل من التطور التقافي والمعرفي، فهذا أمر أصعب بكثير من السابق؛ لأن من البدهي أن مجتمعا ينتقل بسرعة من عهد الريف والبساطة والمدن الصغيرة والبداوة القريب العهد، إلى المجتمع المعاصر، بما فيه من مفاهيم حضارية، وتعقيدات إدارية متطورة، وتوسع في المدن والعلاقات، وقضايا تعايش وقضايا حوار، ومفاهيم حقوقية واجتماعية، هو أمر يحتاج إلى كثير من الوعي الثقافي والاجتماعي ".

تماسك الهوية الوطنية السعودية

ولا يشك أحد في أن كل هوية وطنية، تبقى عديمة التأثير، وسريعة الانهيار، من غير فلسفة ترتكز عليها، ومرجعية نابعة من المجتمع نفسه، وليست وافدة إليه، ولا مفروضة عليه كرها، تستمد منها قوتها في التماسك، والصمود أمام كل التحديات الداخلية والخارجية، فالهويات كغيرها ينتابها الضعف، وربما تصادمت بشكل مروع ومخيف، كما حدث مثلا في يوغسلافيا، والاتحاد السوفيتي، ما لم تستند على مقدس يشعر الجميع أنه ليس من صنعهم، ولكن من صنع العقيدة التي يشتركون جميعا في الإيمان بها، والولاء لها، وهو ما تعتمد عليه الهوية الوطنية السعودية، في التمكن من نفوس المواطنين، والتغلغل في أعماقهم، وكسب ولائهم في خدمة وطنهم، من خلال ما يلي:

أولا: **حاكمية الشريعة الاسلامية**: وهو ما نصت عليه المادة السابعة في الباب الثاني من نظام الحكم، حيث جاء فيها " يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، وهما الحاكمان على هذا النظام، وجميع أنظمة الدولة ".

ثانيا: **البيعة الشرعية**: وعلى هذه الحاكمية يبايع المواطنون الملك من آل سعود، كما جاء في المادة السادسة، من الباب الثاني، في نظام الحكم " يبايع المواطنون الملك على كتاب الله تعالى وسنة رسوله، وعلى السمع والطاعة في اليسر والعسر، والمنشط والمكره ".

ثالثا: **العدالة الشاملة**: والعدل أساس الملك، وما ضاع عدل إلا وساد الظلم، وتفكك المجتمع، وتباغضت الهويات وتنافرت، وساءت الحالة السياسية، ولذا نصت المادة السادسة والأربعون، من الباب السادس، على ضمان العدالة القضائية، بضمان استقلال القضاء عن أي سلطان سوى سلطان الشريعة " القضاء سلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة الاسلامية " .

وحددت المادة الخامسة والخمسون، من الباب نفسه، مسؤولية الملك في إقامة العدالة وحمايتها، فقالت: يقوم الملك بسياسة الأمة سياسة شرعية، طبقا لأحكام الإسلام، ويشرف على تطبيق الشريعة الاسلامية، والأنظمة، والسياسة العامة للدولة، وحماية البلاد والدفاع عنها ".

رابعا: **المواطنة الصادقة**: وهي التي تعطي الذي عليها؛ لتأخذ الذي لها، بحكم أن المواطنة حقوق وواجبات، وهذه الحقوق منها ما للحاكم على المحكوم، ومنها ما للمحكوم على الحاكم، وفي المادة التاسعة من الباب الثاني، في نظام الحكم " الأسرة هي نواة المجتمع السعودي، ويربى أفرادها على أساس العقيدة الاسلامية، وما تقتضيه من الولاء والطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر، واحترام النظام وتنفيذه، وحب الوطن والاعتزاز به وبتاريخه المجيد ".

خامسا: **اللغة الواحدة:** وهي اللغة العربية، ونص عليها النظام الأساسي للحكم بوضوح، في المادة الأولى ولها الولاء العقدي والثقافي، والتاريخي، من المجتمع السعودي؛ لكونها لغة الوحي الإلهي، تحمل رسالة عالمية.

سادسا: **التاريخ المشترك:** وهو تاريخ الوجود الاسلامي في الجزيرة العربية، وتاريخ الدولة السعودية الموصولة بهذا التاريخ الاسلامي، في توحيد شتات القبائل العربية، وفي تجديد الدين فيها، وفي إحياء شيم العروبة من كرم، وشجاعة، ومروءة، وفي الحفاظ على نقاء ثقافتها، وما من أمة إلا ولها تاريخ يحفظ ماضيها، ويدون دقائق تطورها، وتفاصيل حياتها، وبه تعزز وجودها في حاضرها وتعتز، ومنه تستمد تصورها لمستقبلها، وقوتها في تدافعها، وهو ما يجعل منها رقما فاعلا في الحياة، وشخصية مميزة في هويتها، ومن لا تاريخ له في الماضي، لا وجود له في الحاضر، ولا مكان له في المستقبل، ولا عزة له في الواقع؛ لذا يرى بعض الباحثين " أن الهوية معطى تاريخي، يغتني دائما بمضامين جديدة، ويمتلك القدرة على التحدي والتجديد، والتعرف على ذاته في

الماضي والحاضر، كما يتعرف في الوقت نفسه على غيره، من هنا أن معرفة التاريخ شرط أساسي لمعرفة الهوية والوعي بها ".

سابعا: **المصلحة المشتركة**: وتتحدد فيما يعنيه الوطن من وحدة الأرض، ووحدة المشاعر والولاء للقيادة، وما يكتنزه من خيرات تعود على الجميع بالنفع العام، وما يمثل من تاريخ مشترك، وعقيدة واحدة، ومن هنا لا تقل المصلحة المشتركة أهمية في بناء الهوية وتأسيسها عن العناصر السابقة، وكثير من التحالفات القبلية في المجتمعات القبيلية، ما قبل الدولة الحديثة، قامت على المصلحة المشتركة، في التناصر والتعاضد، ضد كل من هو خارج الحلف، ممن يريد به سوءًا، ومع مرور الزمن وتقلب الدهر وبقاء هذا التحالف صامدا يكتسب هوية خاصة به.

مهددات الهوية الوطنية السعودية :

ومع ما ذكر تتهدد الهوية الوطنية الجامعة، من طغيان الهويات الفرعية، وحتى لا يحدث هذا لما يشكله من خطورة على أمن الوطن واستقراره، تحرص دساتير البلاد على مكافحة العنصريات، والطائفيات، والعصبيات الجاهلية، والأفكار الشيفونية المتطرفة، وتوعي المجتمع بضرورة الاندماج (Integration) والتكامل فيما بينه، على أساس من التساوي في الانسانية، والكرامة الآدمية، وأخطر ما في هذه المهددات ما يلي:

أولا: **الطائفية**: وهو انقسام يحدث في المجتمع، على أساس عقائدي، متى ما تفاقم انتهى به إلى الاقتتال الداخلي، ومثله العصبية القبلية، إلى حد التطاعن في الأنساب، أو الجهوية إلى حد التعادي والتنافر، وقد تنبه نظام الحكم لخطورة هذا المنحى، حين نص في المادة الثانية عشر، من الباب الثالث، على أن " تعزيز الوحدة الوطنية واجب، وتمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام ". وكل من ألفاظ العموم يندرج تحتها جميع دواعي الانقسام والفتنة، ومنها بالضرورة أفكار التطرف، أيا كانت طبيعتها.

ثانيا: **الأفكار المعادية**: وهي تلك الأفكار المنافية لأصول الهوية الوطنية السعودية، والمتعارضة معها كليا، وغايتها بلبلة المجتمع وخلخلة تماسكه ووحدته الوطنية، وتندرج هي الأخرى في المادة المذكورة آنفا. وقد تكون هذه الأفكار ذات جذور فلسفية، كالفلسفة الماركسية التي تؤمن بصراع الطبقات، وتراه ضرورة حتمية في تقدم المجتمع، وتعمل له من خلال أحزاب سرية، أو ذات منطلقات دينية، تحرض على نزع الطاعة، وشق العصا بالخروج على ولاة الأمر، أو ذات منحى فكري يخدم أجندة الآخرين من حيث يشعر أو لا يشعر، من خلال الترويج لأفكار لا تستقيم وقيم المجتمع السعودي.

ثالثا: **العولمة الثقافية** " فقد أصبح من المؤكد أن الهوية الوطنية تتعرض للتآكل في كثير من الدول، خاصة على أثر الأخطار التي تتعرض لها من جراء الدخول القسري في نطاق العولمة، وما تفرضه من تدفقات ... وتتشكل هذه التدفقات في صور عديدة، من حركة رأس المال، والتكنلوجيا، والأفكار، والأيدلوجيات... ".

معززات الهوية الوطنية السعودية

ويمكن الحيلولة دون تسرب وتسلل مهددات الهوية الوطنية السعودية بالتمكين لمعززاتها الكفيلة بتقوية مناعتها الذاتية، في مواجهة كل الفايروسات الضارة، وبقدر من الإيجاز أشير إليها في العناصر الآتية، وكل عنصر منها يصلح أن يكون موضع بحث مستقل في حد ذاته، وهي:

أولا: **التسامح** : وفي اللغة العربية يعود التسامح إلى الفعل الثلاثي سمح، وسمح سماحا، وسماحة، صار من أهل الجود والسماحة ... فالتسامح هو القبول بالآخر أي احترام حقوقه الطبيعية، والمدنية، والسياسية، ولا يعني التنازل عن الحقوق للأخر ".

ويدور جدل عميق اليوم بين النخب المحلية والخارجية، بمختلف توجهاتها، بشأن ما يعنيه هذا المصطلح، والذي يهمنا في هذا الجدل ما تتعرض له المملكة من بعض النخب الغربية، وغير الغربية، من اتهام بنشر ثقافة الكراهية، ويكفي أن أورد هنا ما

ذكره الباحث الغربي والمتخصص في معتقدات الشرق الأوسط وثقافاته، السيد(**فيب أرمانيوس**) في مقال له بعنوان (The Islamic Traditions of Wahhabism and Salafyya) (**التراث الاسلامي بين الوهابية والسلفية**) أورد فيه التقريرالصادرعام ٢٠٠٢م، عن الإدارة الأمريكية بشأن الحريات الدينية، يتهم المملكة بالتمييز الديني ضد الأقلية الشيعية، والديانة المسيحية واليهودية.

ومثله أبحاث أكاديمية عديدة، ركزت على قياس حالة التسامح في المملكة العربية السعودية، من خلال دراسة ما أسمته (**الوهابية**) من نحو دراسة بعنوان: **الوهابية من نجد إلى نيويورك** (Wahhabism from Najd to new York) كتبها الباحث **Maura Lynne Nelson** (**مورا ليني نيلسون**) وهي رسالة تخرج قدمت في **جامعة جورجيا** عام ٢٠٠٥ م، وأيا كانت النتائج التي يتوصل إليها هؤلاء الباحثون، والبواعث التي دفعتهم، والمنهجية البحثية التي سلكوها، فإن ذلك يمثل تحديا لنا في قياس حالة التسامح داخل مجتمعنا وثقافته، شرط أن يكون لنا تعريف لمصطلح التسامح، يتوافق مع ثوابت قيمنا وتعاليم عقيدنا الاسلامية نتبناه وندافع عنه.

وينتقد الدبيان أولئك الذين يتحدثون عن الوطن والمواطنة، من خلال حديثهم عن الإرهاب والإرهابيين، فيقول: " وأكثر ما ترى الحديث عن المواطنة والوطنية في وسائل الإعلام، وقنوات التلفزيون، في المملكة العربية السعودية، وهو مربوط بالحديث عن الإرهاب، وأمن المجتمع، والأمن الفكري، ومع أن تحقيق المواطنة ورفع الشعار الوطني، يقلل فعلا من فرص نمو الإرهاب، ويحقق الأمن، إلا أن هذا ليس سببا وحيدا للحديث عن المواطنة، فهي ليست علاجا للإرهاب فقط، نستعملها حين يبرز الإرهاب ثم نتركها، ولكنها مطلب وطني، لابد من السعي لتحقيقه بصورة مستمرة وكاملة ".

ثانيا: **اعتماد ثقافة الحوار**: ويكفي أن الحوار مبدأ أصيل في عقيدتنا، ولا يتطلب منا كثير تنظير وتأصيل، وكل ما يحتاجه منا هو تفعيله في حل خلافتنا الفكرية والمذهبية، وأول بداية فيه حتى يأتي ثماره تبادل الاعترافات البينية، بحيث يعترف كل منا بالآخر

في تساوينا أمام الحقوق والواجبات الوطنية، مع ضرورة إلتزام نصوص نظام الحكم، عَقْدًا تَوافَقَ عليه المجتمع، وارتضاه حكما عند الخلاف.

وقد عبرت قيادة المملكة عن هذا المبدأ من خلال إنشائها داخل المملكة مركز الحوار الوطني، وفي خارجها مركز حوار الأديان.

ثالثا: **تقوية الجهاز الأمني:** والأمن هو ضمان كل ما ذكرت، ولا أمن من غير جهاز أمني قوي، يحمي المواطن من أي عدوان يستهدفه، في ذاته، ودينه، وعرضه، وماله، وعقله، ونفسه، وإذا كانت أفكار التطرف هي من يقصد رجل الأمن بالأذى والضرر، وتحكم بردته، وتحرض المواطن على النفور عنه، والشك فيه، فإن أفكار الوسطية والاعتدال، هي ما يحمي رجل الأمن، ويجعل من قوته وبنائه وتجهزيه بأحدث الأجهزة الأمنية من ضروريات تماسك الهوية الوطنية الجامعة.

علاقة الهوية الوطنية بمكافحة :

وهذا الفهم لعلاقة الفكر بالأمن سلبا وإيجابا، يعطينا مؤشرا واضحا وقويا، في أن العلاقة بين تعزيز الهوية الوطنية الجامعة، ومكافحة التطرف، جد قوية إلى حد التداحل والتمازج؛ ذلك أن المواطن السعودي حين يترسخ لدية مبدأ **الإسلام هو منطلق الهوية الوطنية الجامعة وقاعدتها الأساسية،** سيجعل منه هو المعيار الذي يحاكم إليه كل الأفكار الوافدة، اليسارية منها واليمينية، والأفكار ذات الانتماء الإسلامي المغالية والخارجة على الوسطية والاعتدال، كما هي في أصول المدرسة السنية التي ميزت هوية الدولة السعودية، وأعرب عنها الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بقوله المذكور آنفا: **أريد الرجوع بالمسلمين إلى عهدهم الأول، عهد الصحابة**.

وتأكد لدينا تجسيد هذا المبدأ على أرض الوقع بتلك السياسات الراشدة التي اعتمدتها المملكة العربية السعودية في الستينيات، من القرن المنصرم، في مواجهة التطرف اليساري، الماركسي، والقومي، حين استهدف أمنها، إذ كانت أدبيات اليسار الماركسي تتسلل خفية إلى البلاد داعية إلى تحريك صراع طبقي يؤدي إلى شرخ الوحدة الوطنية.

ولكن ومن خلال التمسك بهويتها الوطنية الجامعة، نجحت القيادة السعودية، في حشد المواطنين على جبهة واحدة، من خلال المنهج التربوي، في ساحة التعلم والتعليم، والرسالة الإيمانية، في الفضاء الإعلامي، والسياسة الحكيمة، في المجال الدبلوماسي.

واليوم يتكرر الأمر نفسه، ولكن بإنحراف داخلي، نتيجة مفاهيم خاطئة حملها بعض المواطنين بانتمائهم إلى حركات التطرف الديني، ومن قوى خارجية معادية، تنتهج النهج الطائفي، في علاقتها بالمملكة العربية السعودية، وتحاول ضرب الهوية الوطنية السعودية، بتحريض طائفي.

ولقد استطاعت القيادة السعودية بخطابها الوطني الهادئ، ودبلوماسيتها الحكيمة، أن تسد مثل هذه الثغور يوم فتح الملك فهد بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ حوارا مع أولئك الذين انساقوا للخطاب الطائفي، من المواطنين الشيعة " وبين عامي ١٩٨٦/ ١٩٨٧م، تشكلت الخطوات الأولى للمصالحة عن طريق شخصيات عربية، منهم المرجع محمد مهدي شمس الدين ... وأثناء فترة حرب الخليج، في بداية التسعينيات، إلتقى السفير السعودي في واشنطن الأمير بندر بن سلطان، بمجموعة من المعارضة ... ونتيجة الاتصالات الجادة واللقاءات، تلقت الحركة الاصلاحية الشيعية رسالة من الديوان الملكي السعودي، بإمكان عقد لقاء مع الملك فهد بن عبد العزيز، وكان ذلك اللقاء في ١٦ تشرين الأول اكتوبر من عام ١٩٩٣م، ... وبناء على هذ الاتفاق عاد الجميع عام ١٩٩٤م ".

وهكذ نجد القيادة السعودية تبادر إلى حل كل الأزمات التي من شأنها أن تخلخل تماسك الهوية الوطنية السعودية، في مواجهة الأخطار المحدقة بالوطن، نقطة المصلحة المشتركة.

وحاليا لمسنا هذه الجدية في حماية الوحدة الوطنية، يوم انطلقت عاصفة الحزم، لضرب القوى الطائفية في اليمن، المتآمرة على أمن السعودية، والمتحالفة مع استراتيجية معادية.

الخاتمة

ونخلص من كل ما ذكرنا إلى أن الهوية الوطنية الجامعة، بشكل عام، هي صمام أمان المجتمعات من التشظي إلى كتل متناحرة، وأن الهوبية الوطنية الجامعة في المملكة العربية السعودية، تعود إلى أصول عقدية، وثقافة متجذرة، وظلت محل اهتمام وعناية القيادة السعودية، من أول تاريخ الدولة السعودية، في نشأتها الأولى، ثم ازدادت عمقا على عمق، في العهد الثالث من تأسيس الدولة السعودية، على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، وما زالت في حالة تطور مستمر بالمراجعة.

النتائج :

وأهم ما توصل إليه هذا البحث من مناقشته لهذه القضية يتلخص في النتائج التالية:

١. الارتباط بالوطن فكرة جبل عليها الانسان
٢. لا يتعارض الاسلام مع مسألة الانتماء الوطني
٣. تتباين وجهة نظر الاسلام السياسي في الاعتراف بالدولة الحديثة والموقف من الخلافة الاسلامية
٤. ليست الهوية مفهوما جامدا ولكنه متطور واختيار حر
٥. الهوية الوطنية الجامعة منطلق بناء وتعزيز المواطنة الحقيقية
٦. تمثل الهويات الفرعية أو الجانبية أخطر من يهدد تماسك الهوية الوطنية الجامعة
٧. يمثل الملك عبد العزيز بما ترك من تراث في قيم الموطنة مصدر إلهام المواطن السعودي
٨. بين الهوية الوطنية ومكافحة التطرف علاقة وثيقة.

التوصيات :

١. تكثيف الرسالة الإعلامية في توعية المواطن بمدلول ومعنى الهوية الوطنية الجامعة
٢. تطوير مقرر دراسي في التربية الوطنية يتناول مفهوم الهوية الوطنية الجامعة

٣. قياس عمق الاعتزاز بالهوية الوطنية بين فترة وأخرى عند طلاب وطالبات ما دون المراحل الجامعية
٤. عقد ندوات وتقديم أبحاث تتناول أهم مهددات الهوية الوطنية الجامعة وكيفية التصدي لها.
٥. إنشاء مركز أبحاث خاص بتطوير الهوية الوطنية الجامعة ودراسة مهدداتها ومعززاتها
٦. تعريف مصطلح التسامح وفق قيمنا ومرجعيتنا الاسلامية.

مقترح البحث :

يقترح البحث انطلاقا من تأمله في تاريخ المؤسس الملك عبد العزيز تقديم رسائل علمية تتناول رؤيته للهوية الوطنية السعودية، ويطرح العنوان التالي: **معالم الهوية الوطنية السعودية من وحي خطابات وتصريحات الملك عبد العزيز**

المصادر :

١) أحميدة، بن زيطة، طرق الوقاية من الجريمة، بيروت، دار ابن حزم، ط، ٢٠١١م.

٢) الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح ابن ماجه، دمشق، المكتب الاسلامي

٣) إنجلز، فريدريك، مبادئ الشيوعية، بيروت، دار الفارابي، ط، الثانية ١٩٨٧م.

٤) أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور إحسان عباس، بيروت، دار العلم للملايين، ط، الثامنة ١٩٨٧م.

٥) بغورة، الزواوي، الهوية والتاريخ، الجزائر، ط، الأولى ٢٠١٥م.

٦) بوليتزير، جورج، وآخرون، المبادئ الأساسية للفلسفة، ترجمة إسماعيل المهدوي، القاهرة، آفاق، ط، الثانية ٢٠١٥م.

٧) جباعي، عبد الكريم، من الرعوية إلى المواطنة، بيروت، أطلس للنشر والترجمة، ط، الأولى ٢٠١٤م

٨) الجرجاني، أبو الحسن، التعريفات، تونس، الدار التونسية للنشر

٩) جمعة، زكي حسين، مركبات التفكير ومناهج البحث العلمي، بيروت، دار الفارابي، ط، الأولى ٢٠١٥م

١٠) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، القاهرة، المطبعة السلفية

١١) خلف، جاسم محمد، دول الخليج العربي وقدسية قيمة أمنها الوطني في عصر العولمة، الكويت، دار كلمات للنشر والتوزيع، ط، الأولى، ٢٠١٦م.

١٢) الدبيان، أحمد بن محمد، ورقات في المواطنة والوطنية، لندن، دار الحكمة، ط، الأولى ٢٠١٢م.

١٣) بن دوبة، شريف الدين، نهاية المواطنة، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط، الأولى ٢٠١٦م.

١٤) زايد، أحمد، المواطنة، القاهرة، دار العين للنشر، ط، الأولى ٢٠١٨م.

١٥) شعبان، عبد الحسين، الهوية والمواطنة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط، الأولى ٢٠١٧م

١٦) صالح، جلال الدين محمد، الطائفية الدينية بواعثها واقعها مكافحتها، الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط، الأولى ٢٠١٦م.

١٧) صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.

١٨) العثماني، سعد الدين، الدول الإسلامية المفهوم والمكان، القاهر، دار الكلمة للنشر، ط، الأولى ٢٠١٦م.

١٩) العوامي، سيد علي السيد باقر، الحركة الوطنية السعودية ١٩٥٣ ـ ١٩٧٣م، بيروت، رياض الريس، ط، الأولى ٢٠١٢م.

٢٠) عبيدات، ذوقان، وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، عمان، دار الفكر، ط، الخامسة عشر، ٢٠١٣م

٢١) عيد، عبد المنعم أحمد سلطان، المواطنة بين الفقه الاسلامي والقانون الوضعي، القاهرة، دار النهضة العربية، ط، الأولى ٢٠١٤م.

٢٢) الكاتب، أحمد، الشرعية الدستورية في الأنظمة السياسية الإسلامية المعاصرة، بيرون، الانتشار العربي، ط، الأولى ٢٠١٣م.

٢٣) الكوخي، محمد، سؤال الهوية في شمال أفريقيا، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ط، ٢٠١٤م.

٢٤) ماركس، وإنجلز، البيان الشيوعي في أول ترجمة غير مزورة، ترجمه وقارنه العفيف الأخضر، بيروت، منشورات الجمل، ط، الأولى ٢٠١٥م.

٢٥) مجمع اللغة العربية، القاهرة، المعجم الوسيط، ط، ثالثة.

٢٦) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، بيروت، عالم الكتب.

٢٧) مجموعة مؤلفين، الهويات وتحديات العصر، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط، الأولى ٢٠١٧م.

٢٨) منغست ،كارين أ ، و أخرون ، مبادئ العلاقات الدولية ، ترجمة حسام الدين خضور ، دمشق ، دار الفرقد ، ط ، الاولى ٢٠١٣ م .

٢٩) ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط، الثانية، ١٩٥٥ م.

٣٠) الهطلان، إبراهيم، الشيعة السعوديون، بيرت، رياض الريس، ط، الأولى ٢٠٠٩م.

٣١) هنتنجتون، صموئيل، من نحن ؟ القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط، الأولى ٢٠٠٩م.

٣٢) هيتر، ديريك، تاريخ موجز للمواطنية، ترجمة آصف ناصر، ومكرم خليل، بيروت، دار الساقي، ط، الأولى ٢٠٠٧م،

٣٣) هيئة الخبراء بمجلس الوزراء، مجموعة الأنظمة السعودية، الإصدار الثاني، المجلد الأول، الرياض، ١٤٣٠هـ

٣٤) الوردي، علي، قصة الأشراف وابن سعود، بيروت، دار الوراق، ط، الثالثة، ٢٠١٣م.

المصادر الأجنبية :

35) Armstrong: Lord of Arabia – London 1938

36) Febe armanios: CRS Report For Congress Decenber 22, 2003

37) Johon R. Gillis ed. Comumemorations. The politics of National Identity Princetion: Princetion University 1994

38) University of Georgia 2003 Wahhabism from Najd to new York Nelson. Mural Lynne,

39) Troeller: The Birth of Saudi Arabia – London 1976